الاثار السيئة التي ألحقتها الصهيونية بالفلاحين العرب « ... واما ما لا شك فيه من مستقبل تلك البلاد اذا ظلت على ذلك واليهود عاملون على ابتياع الاراضي واستعمارها واهلها غافلون او متجاهلون وحكومتها ساكتة او مشغولة فلا يمضي زمن طويل حتى تصير كلها لليهود » . ويرى جرجي زيدان ايضا انه لا يمكن تلافي الخطر الصهيوني الا بالنسج على منواله من حيث استغلال الارض بالوسائل الحديثة — آنذاك طبعا — وانقاذ الفلاح من جشع المرابين . ثم يقول « ... وفي وسع الحكومة ان تفعل ذلك لكنها مشغولة مضطربة اما اعيان البلاد فمنصرفون الى المسائل السياسية والتنازع على الوظائف والنيابات أو المطالبة بالاصلاح ، ولو صرفوا الهمة والجهد الى الناحية الاقتصادية لكان ذلك أقرب الى الوطنية والاستقلال » .

وكتب محمد رشيد رضا(٧١) — صاحب جريدة المنار — وعضو حزب اللامركزية — مقالا في المنار في مارس ١٩١٤ بعنوان « المسألتان الشرقية والصهيونية » تعجب فيه من تصدي الصهيونية لاقامة دولة يهودية في فلسطين ثم ذكر ما يقال عن اقتناع جمعية الاتحاد والترقي بتلك الفكرة وكيف أنها تساعد الصهيونيين على التمهيد لتمليكهم البلاد نكاية بالعرب ، ثم خلص الى القول « ... انه لا مجال للبحث في اثبات هذه الاقوال او نفيها وانما كان ذلك لتذكير الذين اكثروا القول في المسألة الصهيونية من كتاب العرب بأنهم ما فتئوا يدورون حولها ولما يدخلوا فيها بعد » ثم انهى المقال بالدعوة لحسم الموضوع بين العرب والصهيونية فقال « ... يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين ، اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونية على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان أمكن — وهو ممكن قريب اذا دخلوا عليه من بابه وطلبوه بأسبابه — واما جمع قواهم لمقاومة الصهيونية بكل طرق المقاومة وأولها تأليف الجمعيات والشركات وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ، وهو ما تحدث به بعضهم على ان يكون أول ما يعمل ، وانما هو الكي والكي آخر العلاج كما يقال » .

وفي ٢٠ يوليو ١٩١٤ كتب حقي العظم — سكرتير حزب اللامركزية — رسالة الى محمد المحمصاني من المشتغلين في الحركة العربية في بيروت وقد أعدمه جمال باشا في مايو ١٩١٦ . وقد جاء في تلك الرسالة « ... فيما يتعلق بالاتفاق الذي كان قد اقترحه سكولوف عضو اللجنة التنفيذية الصغرى للحركة الصهيونية — فان رأيي يختلف عن راي رفيق بك العظم (رئيس حزب اللامركزية) ... لاني مقتنع أن لا فائدة على الاطلاق من الاجتماع (بالحركة الصهيونية) . واذا لم اعارضه فلأني لا ارى فيه أذى ... اعلم يا اخي ان هؤلاء الناس يسيرون نحو هدفهم بسرعة شاكرين مساعدة الحكومة وعدم مبالاة الاهالي ، وانا متأكد بأننا اذا لم نعمل شيئا للتأثير في الوضع الراهن للصهيونية فسيحققون هدفهم في فلسطين في سنوات قليلة حيث سيوجدون دولة يهودية وبعد ذلك يتجهون نحو سورية والعراق ، وهكذا سيفرغون من تحقيق برنامجهم السياسي ... ولكن باستخدام وسائل التهديد والاضطهاد والاسلوب الاخير هو الذي يجب ان تستخدمه فقط ويتمثل في حث السكان العرب على تدمير مزارعهم واشعال النار في مستعمراتهم وتشكيل العصابات لتنفيذ هذه المخططات . وبعد ذلك ربما يهاجر الصهيونيون من فلسطين لانقاذ حياتهم »(٧٢) .

ويتبين لنا مما سبق استمرار عرب فلسطين في مقاومة الغزو الصهيوني بوسائلهم المحدودة وعلى الرغم من فشل السلطان عبد الحميد في ايقاف تدفق سيل الهجرة اليهودية الى فلسطين بسبب مداخلات السفراء الاجانب ، وبسبب تواطؤ بعض المسئولين في الادارة والشرطة مع الصهيونيين بفعل الرشوة ، وعلى الرغم من مساعدة الاتحاديين